



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد التسعون / السنة الثانية والخمسون

صفر - ١٤٤٤هـ / أيلول ١٥ / ٢٠٢٢م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: التسعون السنة: الثانية والخمسون / صفر - ١٤٤٤هـ / أيلول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداً خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/السعودية
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فيننثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup>

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login>

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّاتة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٦ - ١	تنوع الأوجه الإعرابية للمرفوعات في كتاب (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) نسرين أحمد حسين الساداني ومحمد ذنون فتحي
٤٦ - ٢٧	الوعي بتاريخ العجم القديم في الشعر الجاهلي - الأكَاسرة أُنموذجًا - إسلام صديق حامد وباسم إدريس قاسم
٦٤ - ٤٧	التوجيه الصوتي لظاهرتي (الإظهار والإدغام) عند الهميضي (ت: ١١١٧هـ) في كتابه (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلالة أحمد كلالي وعبداستارفاضل خضر
٨٤ - ٦٥	دلالة ظاهرة العدول في كتاب (معتزك الأقران) للسيوطي (ت ٩١١هـ) التذكير والتأنيث - أُنموذجًا - ليندا باكوز أبرم ومنال صلاح الدين الصقّار
٩٤ - ٨٥	الإشارات تمارة نبيل اليامور وأن تحسين الجلبي
١٢٨ - ٩٥	مقدمة في علم حروف الهجاء في باب الألف اللينة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق ودراسة رافع إبراهيم محمد إبراهيم
١٦٢ - ١٢٩	التشبيه المرکّب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) علي عبد علي الهاشمي وشيماء أحمد محمد
١٧٦ - ١٦٣	الشاهد النحوي الشعري في شروح اللمع لابن جني (ت ٣٩٢هـ) معجم وتوثيق - باب المفعول المطلق أُنموذجًا - خالدة عمر سليمان و صباح حسين محمد
٢٠٤ - ١٧٧	التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري وعبدالله خليف خضير
٢٣٨ - ٢٠٥	التعليل الصرفي في الدرس اللغوي لأبنية الأفعال المزيدة عند ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): الخصائص محورًا مصعب يونس طركي سلوم وهلال علي محمود
٢٥٨ - ٢٣٩	سيمولوجيا الاسم ودوره في تصوير البعد الاجتماعي للشخصية الروائية قراءة في رواية (رياح الخليج) لإبراهيم السيد طه حارث ياسين شكر المشاطة
٢٨٢ - ٢٥٩	الإظهار في مقام ضمير الرفع (المتصل، المنفصل) دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ت ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
٣١٢ - ٢٨٣	مرويات الأسعديّ من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني جمع ودراسة سعد خطاب عمر
٣٤٢ - ٣١٣	موقف المستشرق غارسيه غومس من الشعر الأندلسي سعدية أحمد مصطفى

٣٧٠ - ٣٤٣	الخوف الديني في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري رغدة بسمان الصائغ وفواز أحمد محمد
٣٩٤ - ٣٧١	المرجعيات الثقافية في رواية يوليانا لنزار عبدالستار قيس عمر محمد
٤١٤ - ٣٩٥	شعرية العنونة في شعر أحمد جار الله محمد طه عبد المعين
٤٤٢ - ٤١٥	ميمية ابن الرومي في رثاء البصرة دراسة أسلوبية طارق حسين علي
٤٧٤ - ٤٤٣	المشتقات في القصائد المعلقة دراسة صرفية دلالية معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً نجيب محمود علاوي
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٤٩٤ - ٤٧٥	صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٥٧٦٤هـ/١٣٦٣م) وعلاقته بعلماء عصره نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٥٢٠ - ٤٩٥	حركة مجتمع السلم (حمس) ودورها السياسي في الجزائر أحمد خالد أحمد وسعد توفيق عزيز البزاز
٥٤٢ - ٥٢١	الجدور التاريخية للمغول والبداية الرسمية لقيام دولتهم سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م زياد علاء محمود ونزار محمد قادر
٥٦٠ - ٥٤٣	محكمة العدل الدولية وقضايا العرب في المغرب العربي (١٩٧٣-١٩٩٨) قضية شريط أوزو نموذجاً أنسام أديب الضاحي ومجول محمد محمود
٦٠٠ - ٥٦١	هجرة القبائل من الجزيرة العربية الى العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وعلاقتها بالسلطة العثمانية هاشم عبد الرزاق صالح الطائي
٦٢٤ - ٦٠١	أزمة المياه وأثرها على دول حوض النيل من القرن العشرين ولغاية عام ٢٠١٥ إطلال سالم حنا
٦٤٢ - ٦٢٥	الملاحم الاقتصادية من خلال كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي (٦٠٦هـ-١٢٠٩م) أشرف عبد الجبار محمد
٦٦٦ - ٦٤٣	الأحوال الاقتصادية في العصر الراشدي نشتيمان علي صالح
٦٩٠ - ٦٦٧	التحديات التي واجهت الملك فيصل ١٩٢١-١٩٣٣ عباس إسماعيل الرؤاس
٧١٤ - ٦٩١	جند السودان الغربي في عهد المرابطين وأسلحتهم فائز فتح الله الرعاش
بحوث علم الاجتماع	
٧٦٤ - ٧١٥	إضطرابات الأكل وعلاقتها بحل المشكلات لدى ربات البيوت في مركز مدينة أربيل مؤيد إسماعيل جرجيس و سلمى حسين كامل
٨١٨ - ٧٦٥	الحوار الديني وبناء السلام وترسيخ التعايش السلمي في العراق الحالي الحوار المسيحي-الإسلامي نموذجاً عذراء صليوا شيتو

بحوث الفلسفة

٨٤٢ - ٨١٩

الذاكرة والتذكر بين هنري برجسون وبول ريكور - مقارنة مفاهيمية
فنز ميسر سعيد و أحمد شيال غضيب

بحوث الشريعة والتربية الإسلامية

٨٦٨ - ٨٤٣

أثر السياق القرآني في ورود الصفات الخبرية الموهمة للتجسيم
ياسر عبد العزيز سيدويش و ظافر محمد عبدالله

بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة

٨٩٢ - ٨٦٩

التحوّل لخدمات المعلومات الرقمية في المكتبات الجامعية العراقية
سلام جاسم عبدالله العزّي

بحوث علم النفس وطرائق التدريس

٩١٤ - ٨٩٣

تقويم كتاب مادة الأدب والنصوص للصف الرابع العلمي من وجهة نظر تدريسيها
عدنان حازم عبد أحمد

٩٧٢ - ٩١٥

المرونة المعرفية وعلاقتها بأساليب التعلم لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في
جامعة الموصل
شيماء طلب النجماوي

بحوث القانون

١٠١٠ - ٩٧٣

الإطار المفاهيمي لمنظومة الأمن العام
مصلح جميل أحمد و مجيد خضر أحمد

التأويل في ضوء التداولية المعرفية

نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي

علا هاني صبري* وعبدالله خليف خضير*

تأريخ القبول: ٢٠٢١/١٠/٣

تأريخ التقديم: ٢٠٢١/٩/٢٤

المستخلص:

يسعى هذا البحث إلى قراءة شعر محمد بن حازم الباهلي في ضوء مفاهيم التداولية المعرفية، وبما أن البحث يلتزم عددًا من الأوراق اكتفينا بمفهوم (التأويل) ضمن التداولية المعرفية، ومع ما لهذا المفهوم من أهمية إلا أننا سنحاول عرض كل ما يتعلق به من كفايات تدخل ضمن مفهوم التأويل، وهذا المفهوم يُعدُّ أكثر ارتباطًا بالمتلقي ويقع على عاتقه أن يغوص في كيان الخطاب، ويسبر أغواره؛ ليستنبط تفردَه ويكشف عن معانيه الخفية فيصل إلى مقصدية المتكلم كما أَرادها، إذ عليه-المتلقي- "أنَّ يكمل استدلالات المتكلم فهو مطالب بأن يبذل الوسع في استحضار كلِّ العناصر الضرورية لإقامة صحة هذا الاستدلال ملتزمًا في ذلك روح التعاون.

الكلمات المفتاحية: التداولية، التداولية المعرفية، شعر الباهلي.

نبذة عن الباهلي :

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، ويكنى أبا جعفر، وهو من شعراء الدولة العباسية، نشأ في البصرة ثم انتقل إلى بغداد فسكن فيها حتى توفاه الأجل^(١). واختلف المؤرخون في سنة وفاته أو ولادته.

* طالبة ماجستير/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

* أستاذ مساعد/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

(١) ينظر: معجم الشعراء، أبو عبيد الله، محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ٤٢٩، والوفاي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، صلاح الدين، تحقيق واعتناء: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، لبنان - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠ م: ٢/٢٣٥، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢ م: ٧٥/٦.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

اتفق أغلب من ترجموا له على إجادته الشعر وتقدمه فيه، فنجد أبا الفرج (ت: ٢٥٦هـ) يقول عنه: "شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس"^(١)، وقال ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ): "هو أجود الشعراء لفظاً، وألطفهم معنى"^(٢) ويقول عنه المرزباني (ت: ٣٨٤هـ) في معجمه: "محمد بن حازم الباهلي أبو جعفر مولى باهلة يقول المقطعات فيحسن"^(٣)، كما شهد له الشابشتي (ت: ٣٨٨هـ) فيقول: "كان محمد بن حازم أحد الشعراء المطبوعين، يجيد كل فن يركبه ويأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره"^(٤). كما أنه لم يكن مقلداً في كتابة الشعر؛ فيذكر ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) أن شعره سبعون ورقة^(٥)، فلا بد أن تكون هذه الأوراق حاوية على كمية لا بأس بها من الشعر على أنه ضاع من شعره الكثير كما هو الحال في كثير من كنوز تراثنا العربي.

وامتاز الباهلي بكتابته المقطوعات فعمد الى عدم الاطالة في القصيدة فكانت معظم اشعاره هي مقطوعات قصيرة لا تتجاوز الأربع أبيات أو الخمس أبيات فأطلق د. محمد خير البقاعي عليه لقب (شاعر المقطعات)^(٦)؛ فهو يبادر إلى المعنى المقصود مباشرة دون أن يلتفت إلى التفاصيل أو التزيينات التي لا تؤثر في المعنى المقصود ولا يحدد نفسه بأمر يفرضها عليه منهج القصيدة العربية. ويجيء بالمعاني الجميلة بأسلوب لطيف وألفاظ رقيقة تتميز بالذوق، ويستعين بالصور الخلابة المؤثرة، فتترك في نفس المتلقي تأثيراً يحرك مشاعره ليقف لها وقفة إعجاب قال له المأمون يوماً بعد أن مدحه "

(١) الأغانى، لابي فرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت: ٣٥٦هـ - ٩٧٦م)، تح: احسان عباس و

ابراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط: ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ٦٠/١٤.

(٢) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تح: عبد الستار أحمد

فراج، دار المعارف - القاهرة، ط: ٣، ١٩٧٦م: ٣٠٧.

(٣) الصفحة: ٤٢٩.

(٤) الديارات، الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد (ت: ٣٨٨هـ)، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف

-بغداد، ط: ٢، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م: ٢٧٦.

(٥) ينظر: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف

بابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط: ٢، ١٤١٧هـ -

١٩٩٧م: ٢٠٠.

(٦) ديوان محمد بن حازم الباهلي، تح: مناور محمد الطويل، دار الجيل - بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢م: ١٢.

الله درك، ما أحسن معانيك! " (١)، على الرغم من كل ما امتاز به الباهلي إلا أنه لم ينل من الشهرة ما يستحق فلم تحفظ لنا المصادر إلا النزر اليسير عن نسبه واخباره؛ يعود مرد ذلك الى أنه لم يطرق ابواب القصور ويقف على أعتاب الأمراء فيمدحهم لذا لم يمتلك نباهة طبقتة (٢).

فضلاً عن ذلك أنه كان على حسب رأي ابي فرج الاصفهاني "ساقط الهمة، متقللاً جداً، يرضيه اليسير، ولا يتصدى لمدح ولا طلب" (٣). فكان يقنع باليسير من المال ولم يقف على أعتاب وأبواب الحكام والامراء يمدحهم من أجل التكسب كما فعل كثير من شعراء عصره. فهو يفضل الفاقة والجوع على أن يُذل الحُرَّ في سبيل المال؛ لذا يرضى بالقليل الذي يكفيه قوت يومه ولا يزيد.

وقد تنوعت أغراض الشاعر في ديوانه بين الهجاء، والمدح والزهد وذم الحرص، وبكاء الشباب، والشكوى من الناس والزمان والشيب، وهي تختلف كما من حيث ورودها في الديوان.

التأويل:

إنَّ المفاهيم هي المدخل للمعرفة وإلى ضبط السلوك المعرفي للإنسان ونحن نحتاج إلى أن نعيد النظر في كل المفاهيم التي نتلقاها؛ لأننا نستعملها بوجهها الأصلية في حين أنها لا تطابق واقعنا؛ لذلك ينبغي إعادة النظر في كل مفهوم منقول إلينا.

فنعترض عليه حتى يقوم الدليل على صحته ومعنى الاعتراض هنا انتقاده حتى يقوم الدليل على صحته ، وليس معنى النقد هنا القرح والإبطال، المقصود التحقق مما يرد علينا وكسب الملكة في ضبط المفاهيم عن طريق ما نأخذه عن الآخرين، وكل مفهوم من عندنا مقبول حتى يقوم الدليل على بطلانه؛ لأن المفهوم المنقول هو مفصول عنا وردَ علينا في حين أن المفهوم الذي من عندنا هو موصول بنا ونحياه، فنحن نحيا به إلى أن يتبين أنه لم يعد صالحاً فنتركه ونضع مكانه غيره (٤) ؛ لذا سنحاول رصد أحد

(١) الديارات: ٢٨٣.

(٢) ينظر: الأغاني: ٦٠/١٤، و الديوان : ٣٣.

(٣) الأغاني: ٦٠/١٤.

(٤) ينظر : حوار لطفه عبد الرحمن مع دار الحكمة ينظر:

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

أبرز مفاهيم التداولية المعرفية، وهو التأويل اذ يعد مفهوما مهما من مفاهيم التداولية والتي لا نقل عن أهميته بقية المفاهيم من (السياق، المقصدية)

تتجلى قيمة النص ورفعته في انفتاحه على المعاني المتعددة، معاني تتجاوز المعاني المباشرة؛ لذا فكثيرا ما يلجأ المتكلم إلى المعاني غير المباشرة بدلا عن المعاني المباشرة على الرغم من أن الأولى أكثر غموضا إلا أن هذا الغموض في كثير من الأحيان يكون مقصودا لذاته. ونحن حينما نحاول أن نوضح المعاني غير المباشرة بأخرى مباشرة فإننا نفتقد جمالياتها ونعمل على تشويهها ويكون التشويه في أوجه في حالة الاستعارة والظواهر البلاغية الأخرى؛ وذلك لأن توضيحها بصورة صريحة يؤدي إلى تدمير تأثيراتها الشعرية^(١) في هذا السياق نجد أن الجرجاني في حديثه عن المعاني غير المباشرة يقول: "قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة"^(٢)؛ لذا فقد منح المتكلم الحق بأن يلجأ إلى التعبير غير المباشر متى ما بدا له ذلك وتبين فائدته وطالما أنه لا يتعارض مع أحد مبادئ التواصل اللغوي الأساسية التي سنأتي إلى ذكرها لاحقا، ولكن هذا الحق مقيد بعدم بلوغه حد الالتباس والتعمية بحيث يصبح معه من الصعب على المتلقي أن يصل إلى المعنى المقصود، وكذلك للمتلقي الحق في أن يلجأ إلى التأويل لإدراك المعاني الضمنية لما يتلقاه من المتكلم ولا يكفي بالمعاني الظاهرة أو (الحرفية) متى ما افترض ضرورة ذلك وتوسم في التأويل القدرة على إبلاغ ضالته، ولكن

http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Taha_Abdulrahman/Modernists_and_Imitation.htm

وينظر: في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، د. ثروت مرسي، كنوز المعرفة، ط: ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م: ٤٩.

(١) نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والادراك، دان سبيرير وديري ولسون، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله خليفة مراجعة: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: ١، ٢٠١٦م: ١٠٩.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني-جدة، ط: ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ١/ ٧٠.

هو الآخر حقه مقيد بأن لا يتمادى في التأويل إلى حد الهذيان والهلوسة.^(١) والتأويل: هو تفعيل من أول يؤول تأويلاً أي الرجوع والعودة^(٢) فيقال " وأول إليه الشيء: رجعه. وألت عن الشيء: ارتددت" ^(٣) ومنه يؤخذ التعريف الاصطلاحي فهو أن نتغاضى عن المعنى الحرفي للقولة الى آخر يكون هو المقصود بدليل يقترن به؛ ولهذا جاء بالمعجم المفصل في اللغة والادب بأن التأويل " حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده" ^(٤) ويعرفه ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) بانه: " نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" ^(٥)، فوجود الدليل هو الشرط الأساسي للانتقال من المعنى الحرفي الى معنى آخر، وقد تحدث ابن الجوزي عن الفرق بين التفسير والتأويل، فالتفسير عنده: " هو إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" ^(٦)

أي أن التفسير هو إظهار المعنى المخفي وذلك باللجوء إلى ضوابط صرفية ونحوية ومعجمية موجودة بالنص وخارجة عن ذات المفسر، بينما تؤدّي ذات المؤول دوراً في عملية التأويل فلآرائه الشخصية، وكفاياته غير اللسانية دوراً في التأويل وهو ما جعله

(١) ينظر: التأويل التأويل الدلالي - التداولي للمفوضات انواع الكفايات المطلوبة في المؤول، ادريس سرحان، بحث ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة، اعداد وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، ط٢، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٤ م) : ١٣٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت : ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر، (د.ط) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، مادة (أول): ١/ ١٥٩ ، و لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت : ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت ، ط: ٣، ١٤١٤ هـ ، مادة (أول): ١١/ ٣٣.

(٣) ينظر: لسان العرب ، مادة (أول): ١١/ ٣٣.

(٤) المعجم المفصل في اللغة والادب، د. أميل بديع يعقوب ود. ميشال عاصي، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ١، ١٩٨٧ م: ١/ ٣٥١.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ : ١/ ١٢.

(٦) المصدر نفسه، الموضوع نفسه.

حسب (ابن الجوزي) نقلا للكلام عن موضعه.

قد تكون الجدلية بين التفسير والتأويل أزلية ولن تنتهي بسهولة، إلا أنّ د. خالد حوير الشمس يرى أنّنا نستطيع أن نميّز بينهما؛ إذ إنّهُ يرى أنّ التفسير يكون بالمفردة ودلالاتها في السياق، بينما يكون التأويل في التركيب اللغوي وفي النص^(١)، فالآيات المفسر لغوية أي (صوتية، وصرفية، ومعجمية، ونحوية) في حين أنّ "آيات المؤول توظف دون شك آيات المفسر في مرحلة أولى، لكنها تتجاوزها إلى آيات أخرى استنباطية أو استدلالية، ومعرفية موسوعية، وبلاغية تداولية"^(٢)

مما يجعل عملية التأويل ومحاولة الوصول الى المعاني الضمنية عملية معقدة وصعبة و"تتدخل فيها بشكل جماعي عدة كفايات غير متجانسة، يصعب إلى حد بعيد تحديد المجال الذي تنتمي إليه كل كفاية منها"^(٣)؛ فهي تفرض على كلّ من المرسل والمرسل إليه التعاون والاجتهاد للوصول إلى مقاصد المتكلم، وهذا يتطلب بدوره أن يمتلك كل منهما كفايات تساعد على تحقيق الغاية التواصلية.

إن دور المتكلم في توجيه المخاطب في الفرضيات التي بينها للوصول إلى المعنى أمر مسلم به غير أن المتكلم لا يبني كلامه إلا في ضوء الحقائق التي يملكها عن المخاطب وحالته الاجتماعية وقدرته اللغوية والاستدلالية حيث "أمكن أن نقول إن المتكلم يبني كلامه ويعدل فيه تبعاً لما يكون قد احتفظ به في نفسه من اعتقاد مسبق يخص معارف مخاطبة وشخصيته الاجتماعية"^(٤) فالمتكلم ملزم أن يراعي أحوال المخاطب، وإدراكه المعاني وفهمه لها، فلا يساوي في كلامه بين الجميع، إذ لا يمكن أن يأتي المتكلم بالمعاني المستغلقة ولا الأساليب البلاغية البعيدة مع البسطاء والعامّة ويأتي بالكلام البسيط مع المتخصصين، فلا بد أن يقدر أحوال المتلقي قبل تلفظه بالكلام؛ ليأتي بالمعاني الملاءمة وهو أمر قد نبه عليه الجاحظ إذا يقول: "ينبغي للمتكلم أن يعرف

(١) ينظر: التأويل التداولي المفهوم والتكوين والتجليات، د. خالد حوير الشمس، مقاربات في الأدب

والعلوم الانسانية، العدد: ١٢، سنة ٢٠١٧ م: ١١

(٢) التأويل الدلالي -التداولي: ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٤.

أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".^(١)

فيتحتم على المتكلم أن يدرك دوره في إيصال مقصده، بل عليه يقع الدور الأعظم في التواصل؛ فهو المسؤول عن تقادي حصول سوء الفهم، وذلك بأن يأخذ بعين الاعتبار المؤشرات والمعلومات السياقية التي من الممكن أن يستعملها المتلقي في عملية الفهم والاستيعاب والتي تكون بمتناوله. فالمتلقي يكون فرضيات حول مقصدية المتكلم عن طريقة البيئة أو الدليل الذي يمنحه له المتكلم لغويًا أو سياقيًا.^(٢)

كما يقع على عاتق المتلقي أن يحرص في كيان الخطاب، ويسبر اغواره؛ ليستنبط تقوده ويكشف عن معانيه الخفية فيصل إلى مقصدية المتكلم كما أرادها؛ إذ عليه-المتلقي- "أن يكمل استدلالات المتكلم فهو مطالب بأن يبذل الوسع في استحضار كل العناصر الضرورية لإقامة صحة هذا الاستدلال ملتزمًا في ذلك روح التعاون"^(٣).

إلا أنَّ المستمع لا يقوم بإجراء عملية التأويل بغياب صورة المتكلم عن ذهنه أو غياب كفاياته اللغوية والعقلية، فتشخيص المعنى وبناء الفرضيات حوله يتطلب أن تكون صورة المتكلم حاضرة في عين المخاطب فهي تقوده فيما يبينه من فرضيات حول المعنى وما يستنبطه من تأويلات. ولكي يتمكن المتلقي من تأويل الأقوال تأويلًا صحيحًا يجب أن يمتلك عدد من الكفايات هي:

١. الكفاية اللغوية:

هي من أبرز الكفايات التي تتطلبها عملية التأويل؛ وذلك أنها تتيح للمؤول معرفة مؤشرات اللغوية الملائمة أو عدمها فيما يستقبله من المتكلم. وهي تتطلب من المتلقي أن

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تج: عبد السلام هارون طبعة الخانجي، القاهرة، ط: ٧، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: ١/١٣٨-١٣٩.

(٢) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ٨٩، ١٢٣.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، ط: ٢، ٢٠٠٠م: ١٠٨.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

يكون عالمًا باللغة المستعملة من كل جوانبها سواء (المعجمية، والصوتية، والصرفية، والتركيبية)؛ لكي يسجل مواضع الخروج عن النظام اللغوي والإخلال به. فهي معارف لسانية وضعية تُعدُّ معيارًا يقيس عليه المتلقي الخطاب ومدى تجسيده للمعيار النموذجي وعن ذلك يقول عبد السلام إسماعيلي: "هذه المعارف كلها معارف لسانية وضعية، وإذا كانت تمثل بالنسبة للمرسل معارف تأسيسية، فإنها بالنسبة للمؤول تمثل معارف معيارية، يحتكم إليها في معالجة خطابات المرسل" ^(١) كما عليه أن يدرك أن لا شيء عبثي في اللغة فكل خاصية لغوية معنى خاص سواء أكانت تنغيمية أم تطريزية، كما أن لكل بنية صرفية دلالة معينة، وأن عملية تركيب الوحدات اللغوية لا تكون عبثية وإنما بحسب الأساليب، ولكل أسلوب خصائص لا توجد في غيره من الأساليب.

هذه الكفاية تتطلب قدرة خاصة أطلق عليها د. دريس سرحان (القدرة الواصفة) ويعرفها بأنها: "قدرة الفرد على الحكم بالصحة النحوية والدلالية أو بعدمها على ما يسمعه من جمل في لسانه القومي، وكذا قدرته على إعادة تنظيم نحو يكون قد استوعبه من قبل، أو إحداث تعديل في قواعد تخص إنتاج الجمل... وقبوله عناصر جديدة في معجم لغته ^(٢)، ليس من الصعوبة على ناطقي العربية الأصليين ممن لديهم أقل قدر من الكفاية اللغوية أن يدركوا غرابة جملة مثل (تركض الشجرة المثمرة بالشارع صارخة) فالكل متفق على أنها جملة غير مقبولة ولكن ما الذي يجعلها غير مقبولة مع استقامتها من الجانب النحوي؟

إنَّ عدم قبولها مسألة دلالية وليست نحوية فهي من الجمل التي يمكن القول دون تردد أنَّها مستقيمة نحوية إلاَّ أنَّها لا معنى لها فكيف تركض الشجرة ناهيك عن أن تصرخ إلاَّ مجازًا، بكل الأحوال لا يمكن القول إنَّ كل الجمل من هذا النوع هي جمل لا معنى لها؛ لأنَّ السياق قد يحدد المعنى ويعطي للجملة قيمتها التواصلية عند وضعها في سياق مناسب كالمعاني الضمنية التي تبدو للوهلة الأولى غير ملائمة إلاَّ أنَّ إمعان النظر فيها

(١) في تداوليات التأويل، عبد السلام إسماعيلي، بحث ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة):

٢١٧.

(٢) التأويل الدلالي - التداولي: ١٢٦.

يجلي عنها غموضها ويعطيها قيمة جمالية إضافية فالمستمع لقول إبراهيم بن هلال الحراني عندما يقول: (شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ) يدرك على الفور غرابة القولة ويجزم بخطاها لوجود شمسين أحدها تضلل الشاعر من الأخرى فكيف يكون ذلك صحيحاً؟ ولكن عندما نعلم أنّ العبارة هي شطر من بيتين يقول فيها الشاعر:

"قامت تظلّني من الشمس نفس أحب إليّ من نفسي
قامت تظلّني ومن عجب شمس تظلّني من الشمس" (١)

وبعد الوقوف على البيتين والإحاطة بسياق القصيدة وإدراك أن السياق هو سياق مدح وبعد إطالة النظر وكثرة التفكير نصل إلى أن الشاعر استعمل (الشمس) في معنيين: الأول للدلالة على المعنى الحقيقي للشمس، والثاني استعارها الشاعر لإنسان وضاء الوجه كأنه الشمس في التلألؤ، فهو يشبه الشمس في إشراقه.

إنّ الفرق بين الاستقامة النحوية والاستقامة الدلالية من الأمور التي تنبه إليها علماء اللغة فما هو سيبويه يتحدث عن ذلك في باب استقامة الكلام وإحالاته إذ يقول: " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غداً، وأما المحال فأن تتقض أول كلامك بأخره، فتقول: أتيتك غداً، وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكبي زيداً يأتيتك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس " (٢)

فالاستقامة البنائية هي شرط لبناء النص لكن قبوله يعتمد على الاستقامة الدلالية، فإذا كان التركيب صحيحاً ولكن بدلالة تخالف الواقع أخرجه سيبويه من باب المستقيم

(١) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م: ١/١٤٣.

(٢) الكتاب، عمرو بن عثمان بن سيبويه، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٥٢.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهليّ علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

الحسن إلى باب المستقيم الكذب. أما الاستقامة فقد قصد بها سبويه كما يرى كارتر " أحسن ما يقابل مصطلح مستقيم أن يكون صحيحاً ضمن معنى (ملائم أو مناسب أو صائب اجتماعياً)؛ لكون اللفظة تعبر عن واجب المتكلم في أن يكون مفهوماً؛ ومثله مصطلح محال الذي يُفضل له أن يؤخذ على أنه يعني (خطأ)؛ لكونه يشير إلى ألفاظ لا يمكن أن تصلح للتواصل" (١)

الواضح أن سبويه قد أدرك أهمية تداولية الخطاب في تحديد وجوه الاستقامة وأهمية الملائمة لتحقيق التواصل الفعلي وهذا هو ما يلتقي به مع سبيربر وولسون؛ إذ تنبه سبويه إلى الوجوه المستقيمة، والوجوه المستحيلة في التراكيب اللغوية، منطلقاً من مبادئ منهجه التحليلي الرابط بين نظام اللغة، ومواقف استعمالها. فوضع احكاماً، وضوابط لوصف الكلام بالاستقامة، أو بالاستحالة، تبعاً لملايسات الاستعمال اللغوي من (المتكلم، والمخاطب، وموضوع الكلام، وظروف القول)، فضلاً عن استقامة البناء النحوي بارتصاف عناصر التركيب وانتظامها على وفق ما تجيزه مواضع اللغة، وما يجيزه نظامها الذي تعارف عليه أهلها، والذي يحقق غايتها في الإبلاغ والتواصل". (٢) فإذا كان من واجب المتكلم معرفة الاستقامة النحوية والدلالية فالمتلقي أولى فهو ملزم بمعرفة الاستقامة النحوية كما أنه ملزم بمعرفة الاستقامة الدلالية التي يحددها "الاستعمال الصحيح بحسب ما تعارف عليه أبناء البيئة اللغوية الواحدة ليحصل الفهم المطلوب من الكلام المستعمل" (٣) وذلك للحكم على الخطاب ومن ثم التصرف كما يتطلب هذا الحكم. فينبغي على المتلقي أن يعرف كل ذلك؛ لكي يحدد مواطن الخروج عنها وإلاّ عمد إلى التأويل في مواطن لا تحتاج إلى ذلك.

المستمع لقول الباهلي (لو سخط الله على النار لعذب الله به النار) يدرك على الفور غراب القول والغرابة هنا هي ناتجة عن عدم ملاءمة القول دلاليّاً؛ فنحن نعلم أنّ الله

(١) نحوي عربي من القرن الثامن للميلاد، مايكل جي كارتر، ترجمة: عبد المنعم آل ناصر، مجلة المورد، العدد: ١، ١٩٩٢م: ٣١.

(٢) الكلام المستقيم في النظر النحوي عند سبويه (دراسة في المصطلح واستعماله)، د. لطيف حاتم عبد الصاحب الزامل، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية المجلد: ٨، العدد: ٣-٤، ٢٠٠٥م: ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٨١.

يعذب البشر بالنار ولكن ان يحدث العكس فهذا امر لم يرد علينا من قبل ولا وعته عقولنا؛ لذا فإنَّ المستمع يدرك عدم قدرته للوصول إلى قصيدة الشاعر من خلال المعنى الحرفي فقط، ويدرك حاجة إلى التأويل. بالعودة إلى السِّياق نصل إلى أنَّ الشاعر قال هذا البيت من ضمن بيتين يقول فيهما:

"فِي غَيْرِ سِتْرِ اللَّهِ مَنْ سَارَا لِأَقْرَبِ اللَّهِ بِهِ الدَّارَا
لَوْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَى نَارِهِ لِعَذَّبَ اللَّهُ بِهِ النَّارَا" (١)

وبعد الوقوف على البيتين والإحاطة بسياق القصيدة الداخلي والخارجي وإدراك أن السياق هو سياق ذم وهجاء وبعد إطالة النظر التفكير نصل الى ان الشاعر اراد استلزام معنى ضماني أن المهجو شخص كرهه ومقيت فقربه غير محبذ حتى أنَّ النار تأنف من قربه ففتعذب به بينما هي قد حوت اراذل الخلق وشرارهم؛ لذا كان دعاء الشاعر ان لا يقرب الله به الدار اي أن لا يتجاوزا.

على الرغم من أهميتها تبقى هذه المعرفة اللسانية غير كافية بمفردها للتأويل؛ لأن "المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل جزء أو أجزاء من معنى الكلام من ملابسات وظروف ذات صلة." (٢)

٢. الكفاية التداولية:

وبما ان " الفهم أو الاستيعاب يتطلب أكثر من مجرد فك تشفير الإشارة اللغوية " (٣) كان لابد للمؤول من كفاية أخرى تُمثل المعارف غير اللسانية التي تعين المتلقي في الحكم على ما يسمع والحكم بملاءمته أو عدم ملاءمته وذلك بتضافرها مع المعرفة اللسانية. وهي أيضا تساعد في العملية التأويلية، فنحن لا نجزم بحاجة خطاب ما إلى التأويل إلا من خلال معرفتنا بواقع وروده، وبواقع معارف تتعلق بالمتكلم وتجاربه كما أننا

(١) المستدرك على ديوان محمد بن حازم الباهلي، أ. شاکر العاشور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٨٢: ٨٧٧.

(٢) علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، (د.ط.)، (د.ت): ٢٦٣.

(٣) نظرية الصلة أو المناسبة: ٢٧.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

لا نستطيع القيام بالتأويل إلا في ضوء تلك المعارف، وهي تقوم على كفايتي: مقامية وأخرى موسوعية.

أ- الكفاية المقامية:

إنَّ المقام من أعظم القرائن غير اللغوية الدالة على مقاصد المتكلم؛ لذا فتعد هذه الكفاية ضرورية في تأويل المعاني غير المباشرة والكشف عن مؤشرات الاشارية وهيئات الحضور في الزمان والمكان؛ إذ "يذهب بعض اللسانيين إلى اعتبار معاني الكلمات جزءاً لا يتجزأ من السياق الذي ترد فيه، والمقام أو الظروف المحيطة بزمان هذه الكلمات ومكانها"^(١).

وهي كفاية يتم اكتسابها بشكل آني في أثناء عملية التخاطب" وتمثلها انطباعاتنا حول محيطنا التخاطبي وتأثيره فينا، بأشياءه ومواقفها، وبشخصه وسلوكياتها، وبأزمانه وقائمه وأمكنته. وكل ذلك يساعدنا على اكتشاف ما إذا كان في التخاطب دخل للتأويل أم لا"^(٢).

إنَّ مهمة المؤول تكمن في إزالة اللبس، والاشترك اللفظي في التلفظ، وتعيين محال واحد فقط لكل الاحالات، والوصول الى قصد المتكلم. فيعمد إلى انتقاء التمثيل الدلالي للتلفظ وإكماله واغناؤه من خلال الكفاية المقامية، وهي تعد كفاية تداولية إذ إنها تتعلق بسياق استعمال النص. يطلق سبيربر وولسون على هذه العملية بـ"التكميل".

يقول شاعرنا:

"يا صاحباً لم يدع فقدي له جلدأً أضعُتُ بعدك إنَّ الدهر ذو عُقبٍ"^(٣)

نلاحظ ان البيت الشعري يحتاج لتعين الشخص المنادى المقصود بـ(ياصاحب). اي تحديد المخاطب الذي يتوجه اليه الباهلي بالنداء ضرورة لتأويل البيت الشعري ثم الوصول إلى قصد الشاعر فتحديد المسافة العلائقية بين الشاعر وصاحبه تسهم إلى حد

(١) إشارة اللغة ودلالة الكلام أبحاث نقدية، مورييس أبو ناضر، مختارات، بيروت-لبنان، ط: ١، ١٩٩٠م: ٥٧.

(٢) في تداوليات التأويل: ٢١٨.

(٣) الديوان: ٦٩.

بعيد في الكشف عن مقصدية المبدع^(١) وهو يسهم في تعين المحال في الضمائر (له، بعدك) التي تعود على الصاحب المنادي.

على الرغم من أنَّ الباهلي في البيت الشعري ينادي صاحبا ولكن نحن نعلم أنَّ شاعرنا كان وحيداً لا يملك صاحباً تربطه به علاقة قوية جداً؛ ليكون فقدته مصيبة كبيرة لن يستطع الباهلي الصبر عليها فيضيع بسببها بدليل قوله في موضع آخر:

"وَلَا لِي صَاحِبٌ أَبْكِي عَلَيْهِ وَلَا عَقِبٌ أَخْلَفُ مِنْ وَرَائِي"^(٢)

لأنَّه كان يرى الغنى في البعد عن الناس والاستغناء عنهم وفي ذلك يقول:

"وَاسْتَعْنِ عَنِ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغِنَى مِنَ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ"^(٣)

أذن سؤال هنا من المقصود بالصاحب بالنداء؟

قد لا يكون للباهلي صديقا تربطه به علاقة وثيقة إلاَّ أنَّه قد يوجه كلامه لصاحب لا وجود له، وهذا يرد كثيرا في الشعر العربي وقد يرد بصيغة نداء المفرد نحو (يا صاحبي..)، وقد يرد النداء مرخما نحو: (يا صاح..)، أو وقد يرد بصيغة نداء المثنى نحو: (يا صاحبي)؛ وإنَّما ذلك لان الشاعر يقصد بالنداء التنفيس عن مشاعره ودمج الوجدان الفردي بالجماعي وللإحساس بالناس^(٤)، وعند تقصينا عن سياق البيت الشعري ندرك انه من قصيدة قالها الباهلي في البكاء على الشباب وذم الشيب.

من خلال المقدمات التي لدينا حول الباهلي، وحول السياق الداخلي للقصيدة ندرك هنا اننا بحاجة لتأويل قولة الباهلي لنصل إلى مقصده الإخباري، والمعنى المستلزم الذي أراده، منطلقين من المقدمات المنطقية أعلاه ومن دلالة الصحبة التي تعني الملازمة فكل ما لازم شيئا قد استصحبه^(٥) لنصل إلى أنَّ الباهلي إنَّما قصد بالنداء الشباب الذي

(١) ينظر: الأطروحة: تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا، شتير رحيمة، إشراف عبد القادر دامخي، جامعة الحاج لخضر باتنة-الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م: ٩٢.

(٢) الديوان: ٤٨.

(٣) الديوان: ١٠١.

(٤) ينظر: النداء بين المودة والتلف والرجاء، عبدالله الجعثن، جريدة الرياض، العدد: ١٦٥٤١،

سنة ٢٠١٣م، <https://www.alriyadh.com/873560>

(٥) لسان العرب، مادة (صحب): ١/ ٥٢٠.

صاحبه طويلا ثم فقده بالمشيب والكبر بدليل قوله في البيت اللاحق:

"أبكي الشبابَ لندمانٍ وغانيةٍ وللمغاني وللاطلالِ والكُئِبِ"^(١)

إذ يعلل الشاعر بكاءه على عهد الشباب لما فيه من ملذات ولهو وندمان وسهر. ولفقد الشباب عند الباهلي ألم ووجع؛ فهو ليس امرا هينا إذا ان الانسان قد يفقد حماسه وحبه للحياة عند المشيب والكبر؛ لانتقاله من حالة القوة والنشاط والعطاء والحيوية إلى حالة مناقضة هي حالة ضعف وخمول وانهيار المتمثلة بمرحلة الشيب، الذي ينذر بقرب الأجل فلا بد لكل حي مشيب وموت، وهما يتعاقبان عليه^(٢) ممّا جعل فقده مصيبة تؤدي لجزع الباهلي.

إن كانت الكفاية الأولى تكشف مؤشرات التأويل فيما يتعلق بالمفهوم وسياقه الداخلي فان الكفاية المقامية تتعلق بالسياق المقامي للتلفظ، غير أن هناك كفاية أخرى سياقية ولكنها مستقلة عن التلفظ (الكفاية الموسوعية): وهي الكفاية التي تتعلق باكتشاف المؤشرات التأويلية التي تكون فيما وراء التلفظ.^(٣)

ب- الكفاية الموسوعية:

إن الإنسان يتفاعل مع العالم من حولها فيكتسب المعارف باستمرار، ونتيجة هذا التفاعل يمتلك الفرد ما يسمى بالكفاية الموسوعية ويطلق عليها كل من سبيرير وولسون "المعارف الموسوعية" وتعرفها أوريكيوني(Orecchioni): " مجموع المعارف الضمنية التي يمتلكها الفرد حول العالم".^(٤)

فهي تُكسب الفرد معرفة العالم من حوله إذ من خلالها نستطيع أن نُميز القط على أنّه حيوان وأنّه المستأنس من صنف السنوريات في حين ندرك وجود سنوريات أخرى غير مستأنسة مثل الأسود والنمور، ومن خلالها ندرك ذلك الشيء الذي يسير في الشارع

(١) الديوان: ٦٩.

(٢) ينظر: رسائل الشريف المرتضى، علي بن الحسين شريف المرتضى، اعداد احمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم- ايران، ط: ١، (د.ت): ٤/ ١٦٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، الموضوع نفسه.

(٤) نقلا عن: أثر الكفايات اللسانية والموسوعية في توجيه عملية تعلم اللغة، د. علي بوراس، د. حسن مومني، مجلة العلوم الاجتماعية - المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا-برلين، العدد ١٤، ٢٠٢٠م: ٥٨.

على أنها سيارة وان الانسان اخترعها؛ لتساعده في التنقل، وندرك أنها وسيلة نقل خاصة بينما ندرك أن الحافلة وسيلة نقل عامة وهكذا. فنحن نكتسب معارفنا الموسوعية من خلال تجربتنا الخاصة أو من خلال ما نسمعه أو نقرأه من تجارب الآخرين؛ لذا يعرفها د. عبد السلام علوي أنها "المعارف المشتركة السابقة التي يكتسبها الفرد عبر تجربته الفردية أو يكتسبها من مكتسبات التجربة الجماعية"^(١).

وهي متنامية وغير محددة؛ فالمعلومات الجديدة تُضاف باستمرار مادام الفرد يتفاعل ويفكر ويحاول أن يفهم عالمه مستعيناً في ذلك بعقله، فهي انعكاس لثقافة الفرد وتفكيره وتجاريه وخبراته التي تغذيها بيئته التي نشأ فيها، لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال القول عند نقطة محددة أن المعارف الموسوعية للفرد قد اكتملت؛ فهو رصيد لا يفتأ يكبر. ^(٢) وهي عند أوريكيوني تمثل "خزاناً رحباً يضم معلومات خارجية تعبيرية تتناول السياق، أو بوصفها مجموعة معارف ومعتقدات ونظاماً من تمثيلات العالم المرجعي وتأويلاته وتقويماته"^(٣)، وترى أنها تتحرك في جميع المستويات وفي كل الاتجاهات فهي:

١. تعمل على تفكيك المحتويات الصريحة عندما يتعلق الأمر برفع اللبس عن الاشتراك اللفظي أو التعدد الدلالي.

٢. وتعمل وبشكل أقوى على تفكيك المحتويات الضمنية. فيتعين في بعض الصور المجازية معرفتنا بالعالم الواقعي أو بتصورات المتكلم عن ذلك العالم؛ لنستطيع أن الحكم بمجازيتها. ^(٤)

ولهذه الكفاية أهمية خاصة في نظرية الملاءمة؛ إذ إنّها تُسهم في تكوين سياق تأويل القولات وعليها تعتمد كثير من التأويلات؛ فعندما ما يواجه الفرد في حواراته وتعاملاته اليومية خطاباً يعمد فيه المتكلم إلى الخروج عن المعاني المباشرة إلى أخرى

(١) في تداوليات التأويل: ٢١٨.

(٢) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ١٦٢، وفي تحليل الخطاب، حاتم عبيد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع-الأردن، ط: ١، ٢٠١٣م: ٤٥.

(٣) نقلا عن: أثر الكفايات اللسانية والموسوعية: ٥٩.

(٤) نقلا عن: التأويل الدلالي -التداولي: ١٧٩.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

غير مباشرة يسعى المتلقي لتأويل الخطاب والوصول إلى مقاصد المتكلم فيستعين بالكفاية الموسوعية إلى جانب الكفايات الأخرى؛ لتسغفه في الوصول إلى مقاصد المتكلم وفي ذلك يقول كل من جورج لاکوف (George Lakoff) ومارك جونسن (Mark Johnson): "عندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون نفس الثقافة ونفس المعرفة ونفس القيم ونفس المسلمات، فإنّ الفهم المتبادل يكون صعباً، إنّ هذا الفهم يكون ممكناً من خلال التفاوض بشأن المعنى، ولكي تتفاوض مع أحدهم بشأن المعنى عليك أن تعي الاختلافات في الخلفيات وتحترمها، وتعلم متى تكون تلك الاختلافات مهمة، وتحتاج إلى ما يكفي من التنوع الثقافي والتجربة الشخصية كي تعي بوجود رؤى مختلفة للعالم، وتعرف ما هي طبيعتها المحتملة"^(١) لو جننا إلى قول شاعرنا:

"وَرَبِّمَا جَرَّ أَدْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا وَيَبِينُ بُرْدِيَّهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَضِلٌ"^(٢)

هذا البيت قال الشاعر في قصيدته (لا حين الصبر) بعد ان ذكر في بيت يسبق هذا البيت ان للزمان على احسانه علل ويبدأ الشاعر بذكر متع الحياة فأولها (جر اذيال الصبا) وهي كناية عن إطالة الثوب وإسباله في أيام الصبا، فالثوب إذا طال مسّ الأرض، وعندئذ فهو يحتاج إلى جرّه. ومن خلال الكفاية الموسوعية والسياق الثقافي ندرك ان الملابس الطويلة الفضفاضة كانت للنخب والأثرياء والشباب منهم خاصة، فكانت تمتاز بعرضها وطول ذيلها الذي يجر الأرض، وتصنع من الأقمشة الغالية الثمن. بينما امتازت ألبسة العامة من الناس، بأنها ثياب قصيرة^(٣)، فالأثرياء يبالغون في طول رداثهم وعرضه خيلاء وتيها وتكبرا وهذا ما يؤكد شاعرنا من خلال وصفه حال جر الثوب (مرحاً) اي: باختيال وتكبر^(٤) وتعود بنا كفايتنا الموسوعية ثانية إلى ان المعنى مقتبس

(١) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لاکوف، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط: ٢٠٠٩، م: ٢١٦.

(٢) الديوان: ١١٨.

(٣) ينظر: الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والاثريّة، صلاح

حسين العبيدي، دار الرشيد للنشر، (د.ط)، ١٩٨٠م: ٢٤١، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،

جواد علي، دار الساقى، ط: ٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٥٥/٩.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (مرح): ٦٧/١٣.

من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(١) أي: متبخرًا مختالًا؛ ونظرا الى أنه اسراف وتبذير في استعمال الأقمشة وللأثر الذي يتركه في نفوس الفقراء، فقد وردت أحاديث في النهي عن فعل ذلك في الإسلام فقال ﷺ " لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء " ^(٢) على الرغم من ذلك فقد كان كثير المباهاة والتكبر بطول رداءه ولذا لجأ الشاعر إلى استخدام (ربما) وهي للتكثير في موضع المباهاة والافتخار ^(٣) .

في عجز البيت استعان الشاعر بالاستعارات فاستعار للقد الغصن ووجهة الشبه بينهما الاستقامة. واستعار لوصف حيويته ونشاطه بالنعومة والنداوة، فالشيء الخَصِيلُ أي: الرطب ^(٤) وهي ان كانت اوصاف غالبا ما تستخدم لوصف حيوية النباتات والاعضان الا انها تصبح ملاءمة تمام لوصف حيوية ومرونة الشباب بتوسيع السياق بالاستعانة الكفاية الموسوعية لشيخوخة الانسان وتقدمه بالسن؛ نصل إلى أن جلد الانسان يميل بتقدم السن لأن يصبح أقل مرونة وسماكة، وأكثر جفافاً وتجعداً، ممّا يعطي الجلد مظهرًا خشناً؛ وتُعزى هذه التغيرات في الجلد إلى التراجع في عملية إنتاج "الكولاجين" وهو الذي يمنح الجلد قوته و "الإلاستين" الذي يمنحه المرونة ^(٥)؛ ممّا يجعل جلد الشباب ناعماً ورطباً على عكس كبار السن.

يمثل عجز البيت كناية عن نضارة وحيوية الشباب التي منحته حق التكبر والتبخر الذي وصفه الشاعر في صدر البيت.

من الواضح أن مَنْ لا يستطيع الاستعانة بالكفاية الموسوعية لن يستطيع أن يولّد

(١) سورة الاسراء، الآية ٣٧.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، رقم الحديث (٥٧٨٨) / ٧: ١٤١.

(٣) ينظر: رسالة ماجستير: أدوات التقليل والتكثير في العربية - دراسة دلالية نحوية -، عماد محمد محمود البخيتاوي، بإشراف: د.طه محسن ، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م: ١١٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (خصل): ١٢٩/٤.

(٥) ينظر: موقع webteb ، <https://www.webteb.com/dermatology/diseases> /تشخيص- الجلد

سياقاً ثقافياً عن ملابس الأغنياء ولا سياق عجز البيت وسيكون غير قادر على تأويل البيت تأويلاً صحيحاً ومن ثمة إدراك ملامته للسياق السابق؛ لأنَّ البيئة متباينة من شخص إلى آخر كانت الكفاية الموسوعية (المعرفة الموسوعية) هي الأخرى متباينة انطلاقاً من البيئة الجغرافية والثقافية والأخلاقية للفرد، وطبيعة تعاملاته اليومية، وثقافته وجنسه وانتمائه الطبقي كل ذلك أدى إلى اختلاف في تأويل القول الواحد بين المتلقين. فكل واحد منا يقضي عمره محاولاً جمع أكبر قدر من المعلومات عن بيئته العامة وأن يكون تصويراً وتمثيلاً عقلي لها، ولكن هذا التصوير مختلف من شخص إلى آخر. ومن ثمَّ تكون المعارف الموسوعية أيضاً مختلفة، ويرى دان سيبرير وديديري ولسون أنَّ سبب هذا اختلاف في التصور للعالم على الرغم من أننا نعيش في العالم المادي نفسه يعود إلى أسباب عديدة، هي^(١):

١. اختلاف في المحيط المادي الضيق.

٢. اختلاف في القدرات الإدراكية والمعرفية: ففي القدرات الإدراكية الحسية تختلف فاعليتها من شخص لآخر، والقدرات الاستدلالية التي تعيننا على الإدراك هي الأخرى تختلف، وليس في الفاعلية فحسب فالناس يتكلمون لغات مختلفة وهم قد اتقنوا مفاهيم مختلفة؛ ونتيجة لذلك يمكن أن يكونوا تمثيلات أو تصورات مختلفة، ويقومون باستدلالات مختلفة. وهم يمتلكون ذاكرات مختلفة من شخص لآخر، ونظريات مختلفة يطبقونها في تجاربهم بطرائق مختلفة.

إنَّ هذه القدرات المختلفة تُسهم في بروز حقائق ظاهرة معينة لشخص ما في وقت ما، وهذه الحقائق للشخص تشكل ما أطلق عليه سيبرير ولسون البيئة الإدراكية المعرفية وعرفاها على أنها: مجموعة الحقائق الظاهرة للفرد ويُقصد بالظاهرة أن يكون قادراً على تمثيلها وترميزها ذهنياً وقبول ذلك التمثيل بوصفه صادقاً أو ربماً صادقاً، وإنما يكون ذلك عن طريق الإدراك الحسي أو عن طريق الاستدلال^(٢)، وبذلك تكون الحقائق الظاهرة دالة لبيئة الشخص المادية وقدراته المعرفية معاً، ممَّا يجدر الانتباه إليه إنَّ عناصر الكفاية

(١) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ٨٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨١.

المقامية التي تقوم على ما توفره التجربة الآنية، تصير فيما بعد ذكرى وتمثل عنصر من عناصر الكفاية الموسوعية.

يمكننا القول إنَّ كل الكفايات السابقة وعلى الرغم من أهميتها تبقى غير كافية وقاصرة عن توجيه المستمع نحو التأويل الصحيح؛ فالكفاية الأولى تُساعدنا في معرفة حاجتنا للتأويل من عدمه وتقدم لنا المؤشرات الضرورية على ذلك بينما الكفائتين المقامية والموسوعية تُساعدنا على حصر مجال التأويلات الممكنة وتحديد الفرضيات المتاحة ولكن يبقى التأويل النهائي للقول غير مدرك بعد؛ ولهذا نحن نحتاج إلى كفاية أخرى تُساعدنا على اختيار التأويل المقصود وتحديد الفرضية الصحيحة وهذه الكفاية هي الكفاية الاستدلالية.

ج- الكفاية الاستدلالية:

في التواصل لا نقف فقط عند حدود الحكم من خلال كفاءاتنا اللسانية والتداولية ففي كثير من الأحيان لا ينجح التواصل عندما يتعرف المستمع على المعنى اللغوي الصريح للقول، ولا عندما يوقن بأنَّ الملفوظ يحتاج إلى تأويل وإنما حين يقوم بإتمام التأويل فيستدل على المعنى الذي يقصده المتكلم، أنَّ كفاءاتنا اللسانية والتداولية تكشف لنا فيما إذا كان الخطاب ملاءمة أو أنه غير ملائم إمَّا لشذوذ معناه أو لشروده. ويرى د. محمد مفتاح أن غرابة المعنى عن السائد: القيم الثقافية والاجتماعية والفكرية والسياسية. وعدم مطابقته لمقتضى الحال المعهود يتطلب من المتلقي تحليل وتأويل الخطاب لإرجاع الغرابة إلى الألفة والملاءمة. ^(١) فغاية التأويل الانتقال من عدم الملاءمة إلى الملاءمة أي أن نبحث عن ملاءمة الخطابات غير الملاءمة، فإذا ما شعر المتلقي أن الخطاب شاذ في معناه، أو أنَّه صُرف إلى غير ذلك المعنى، أو أنَّه معنى شارد الورود، لجأ إلى ما يبرر عدم الشروده، فهو حين يدرك أن المتكلم يقول كلامًا لا يناسب المقام أو أنَّه زل لسانه بكلمة ما وليس بالضرورة أن يكون المعنى غير مستقيم لغويًا وإنَّما هو ببساطة معنى مغلوط أي: إنَّه يزودنا بدليل مضلل بخصوص مقصد المتكلم، فيقوم

(١) ينظر: التلقي والتأويل مقارنة نسقية، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط: ١، ١٩٩٤م:

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهليّ علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

المستمع بإسقاط المعنى المغلوط من حسابه^(١)، ويلجأ إلى "الاستدلال والاستنتاج واستحضار السياق انطلاقاً من الأقوال التي تُعدُّ في أغلبها خطاطات تتطلب في الآن نفسه حل العقد مع الاستدلال لضمان فهمها على الوجه المطلوب، فالذهن البشري يشتغل في الواقع باليتين الواحدة تكمل الأخرى؛ الأولى تعتمد على حل الترميز، والثانية تقوم على الاستدلال"^(٢).

إنَّ د. طه عبد الرحمن يرى أنَّه لا يمكن أن تحدث المعرفة من دون استدلال في أي طور من أطوارها فحتى المشاهدة الخارجية تتطلب الاستدلال؛ نظراً لدخول الحكم عليها، والحكم على شيء لا يكون إلا بوجود الاستدلال.^(٣) سنفصل القول عن الاستدلال في الفصل الثالث، إلا أنَّ ما يعيننا هنا أنَّ الكفاية الاستدلالية تسعى إلى الربط بين ما يعرضه المتكلم وبين ما يتوفر لدى المستمع من معطيات اكتسبها بواسطة الكفائيتين اللسانية والتداولية من أجل الوصول إلى المعنى المقصود. فتمنح المتلقي القدرة على تحديد الفرضية التي تلائم مقصد المتكلم اعتماداً على السياق الذي يجري فيه التواصل، بعد أن يتم معرفة حاجة الخطاب إلى تأويل بالاستعانة بالكفائيتين اللسانية والتداولية وتحديد عدد من الفرضيات التي تصح ضمن مجال التأويل.

إنَّ عملية التأويل كما ذكرنا سابقاً ليست عملية سطحية وبسيطة إنما هي عملية معقدة وصعبة؛ وليتمكن الفرد من النجاح في تأويل الخطاب والوصول إلى مقصد المتكلم يحتاج إلى عدد من الكفايات يكون الفهم بتضافرها بعضها مع بعض أيسر وعملية الاستدلال على المعنى المقصود أبسط، ولكن ذلك لا يعني أن غياب أحدها يجعل الفهم مستحيلاً وإلا فكيف يمكن تأويل النصوص الأدبية المدونة وهي تمتاز بطبيعة إيحائية أكثر من الخطاب الشفوي، ويفاقم الأمر سوءاً غياب معطيات السياق المقامي مما يجعل الكفاية المقامية في أقل مستوياتها، ولكن هل ذلك يجعل من المستحيل فهم النص؟

(١) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ٥٥.

(٢) عندما نتواصل بغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط: ٢، ٢٠١٢م: ٤٣.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط: ١، ١٩٩٨م: ٧٣.

انعزال النص عن السياق المقامي يؤدي إلى تقليل الكفاية المقامية ولكننا نستطيع الاستعاضة عن هذا النقص بالكفايات الأخرى فنستدل على المعنى المقصود، فمثلا تكون المهارة اللغوية في أوجها لأنَّ القراءة ترتبط بالمهارات اللغوية، ولكنها عاجزة عن أن تصل بنا إلى الدلالات العميقة للنص؛ لذا وفي المقابل يتضاعف اعتمادنا على الاستدلالات التداولية، مما يتطلب كفاية استدلالية عالية، وكفاية موسوعية جيدة؛ ليستحضر المستمع معارفه أو ليعمل على استحضار مخططات وأطر من قراءته السابقة ما يجلي معاني ومقاصد المؤلف في النص موضع التأويل.

بينما في التواصل الشفوي يحدث العكس إذ تكون المهارات اللغوية أقل أهمية من الكفايات الأخرى لوجود قرائن مقامية متنوعة يفيد منها المؤول في عملية الاستدلال على ما يعنيه المتكلم ك (النبر، والتنغيم، الإشارة، والإيماء، وتعابير الوجه، معطيات حول المحيط الفيزيائي... الخ).

فالمعنى اللغوي للقول الذي يُتوصل إليه من خلال الكفاية اللغوية غالبًا لا يكفي للتعبير عن مقاصد المتكلم إنَّما هو عامل مساعد فقط يسعف المستمع في الاستدلال على مقاصد المتكلم^(١)؛ لذا في هذه الحالة تظهر أهمية الكفايات الأخرى. فنجد أهمية كبيرة للكفاية المقامية والتي تستعين بالكفاية الموسوعية لحصر الفرضيات المتاحة، ومن ثم تسهم في الاستدلال على مقصدية المتكلم عبر تحديد فرضية واحدة تلبى مقصد المتكلم من خلال الاستعانة بالكفاية الاستدلالية.

وكما علمنا فإن "التأويل يقوم على ثلاثة أنواع من الكفايات، كفاية لسانية معيارية، وكفاية تداولية معرفية، وكفاية استدلالية عملية"^(٢) وسنأخذ نموذجًا لتوظيف الكفايات التأويلية قول شاعرنا:

(١) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ٦٠.

(٢) في تداوليات التأويل: ٢٢٠.

التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علا هاني صبري و عبدالله خليف خضير

وَسَارِيَّةٌ لَمْ تَسْرِ فِي الْأَرْضِ مَحَلًّا وَلَمْ يَقْطَعْ بِهَا الْبَيْدَ قَاطِعٌ
سَرَتْ حَيْثُ لَمْ تَجِدِ الرِّكَابَ وَلَمْ تُنْجِ لَوْرِدٍ وَلَمْ يَقْصُرْ لَهُ الْفَيْدَ مَانِعٌ
تَمَّرٌ وَرَاءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ضَارِبٌ بِجَثْمَانِهِ فِيهِ سَمِيرٌ وَهَاجِعٌ
إِذَا وَرَدَتْ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ وَفِذَا عَلَى أَهْلِهَا وَاللَّهُ رَأٍ وَسَامِعٌ
تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ دَوْنَهَا إِذَا قَرَعَ الْأَبْوَابَ مِنْهُنَّ قَارِعٌ
وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ (١)

من خلال الكفاءة اللغوية يمكن أن يسير المتلقي مع المقطوعة فيدرك الاستقامة اللغوية للنص إلا أنه بالعودة للمعنى المعجمي يجد أن سارية من المشترك اللفظي؛ إذ إنَّها تأتي بمعاني منها: (السحاب الذي يظهر ليلاً، المطرة تكون ليلاً، جماعة من الناس يسرون ليلاً، الأسطوانة من حجر، أي: اعمدة القصور والبيوت، السور، عمود من الخشب ينصب وسط السفينة ليعلق عليه الشراع، سارية العلم: قائمه) (٢)

ويتوقف في البيت الثالث لئتمتع في عبارة (تمر وراء الليل) فيدرك ان هذا المركب الظرفي (وراء الليل) لا يستقيم من الناحية المعجمية مع البنية التركيبية (تمر السارية) وبالتالي فهو بحاجة الى عمليات تأويلية ليصل الى مقصدية المتكلم، وكذا يتوقف المتلقي مرة اخرى في البنية التركيبية (والليل ضارب بجثمانه) فيدرك ثانية أنه بحاجة إلى تأويل إذا إنَّ (الليل) لا يستقيم مع البنية التركيبية (ضارب بجثمانه) وبعد إمعان النظر في البيت الرابع يتفطن الى عدم ملاءمته دلاليًا فكيف للسارية أن ترسل وفداها لله؟ وعند البيت الخامس يتساءل عن كيفية طرق السارية لأبواب السماء، من

(١) الديوان : ١٦٠-١٦١.

(٢) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: ١/٤٥٢، ولسان العرب: ١٤ / ٣٨٢، ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) ، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م : ٣ / ١٤٨ ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار) ، دار الدعوة، استانبول - تركية، (د.ط) ، ١٩٨٩ م: ١/٤٢٨.

خلال تلك الوقفات يدرك المتلقي حاجته الملحة للتأويل، فيستعين بالكفاية الأخرى (الكفاية السياقية).

وعلى الرغم من أنّ المقطوعة وصلتنا مدونة ومن دون أي معطيات مقامية إلا أن السياق اللغوي يدلنا على مقام السارية فهي قد سرت لمكان لم تصله الركبان من قبل. ومن خلال السياق اللغوي ندرك أيضاً أن الظرف الزمان الذي اختاره الشاعر لحركة هذه السارية هو آخر الليل فعبر عنه بوراء الليل فمن خلال الكفاية الاستدلالية نستطيع أن نميز إن الشاعر لجأ إلى الاستعارة مكنية بعلاقة المشابهة بين الليل والرجل الذي عبر عنه بلازم من لوازمه وهي (جثمان) وقوله (الليل ضارب بجثمانه) ليصف الليل وقد أرخى سدوله فنام الناس ولم يبقَ إلا السُّمار، وقد اختار الشاعر آخر الليل؛ لأنَّه الأكثر سكوناً من الليل، وهذا يتناسب مع جو الهدوء والسكينة الذي حاول الشاعر أن يغلف به المقطوعة، الذي نلمحه من خلال السياق العاطفي للمقطوعة؛ إذ إنه قدم لفكرة السكينة في البيت الأوّل فالسارية ساكنة فهي لم تتحرك وكذا استعان الشاعر بتكرار اسم الفاعل الذي كان قافية كل بيت؛ فورد في القافية ست مرات، وفي غيرها أربع مرات وهي (سارية، ضارب سمير، راء) ومعلوم أنّ اسم الفاعل يدل على الحدث، والذات التي قامت بهذا الحدث، فكأن شاعرنا هنا يريد بهذا الاستعمال أن يزوج بين الحدث والذوات القائمة به، بما يكسب المقطوعة تناغماً دلاليّاً يتراوح بين السكينة التي لفت المقطوعة، وبين الحركة التي تمت داخلها دون أن تخرق ستار هذه السكينة. ومن خلال السياق الثقافي نستطيع أن نُخرج عدداً من المعاني المشتركة للسارية فالظرف المكاني لها هو مكان لم يصله الركبان مما يخرج فرضية (عمود من الخشب ينصب عليه الشراع) التي تكون متعلق بثقافة البحار والمحيطات فيستخدمها الملاحين، وليس السياق كذلك لينصب الشراع، وكذلك تلغي فرضية (قائم العلم) التي غالباً ما تكون متعلقة بثقافة الغزوات والجيوش.

من خلال الكفاية السياقية استطعنا إخراج فرضيتين من أصل سبع فرضيات تكونت لدينا من خلال الكفاية اللغوية، فالخطوة التالية هي الاستعانة بالكفاية الموسوعية لتعيننا في الوصول إلى مقصدية الشاعر.

من خلال كفايتنا الموسوعية ندرك أنّ السياق لا يقبل فرضية (الأسطوانة من

حجر أي: اعمدة القصور والبيوت) وكذلك لا يقبل فرضية (السور)؛ وذلك لان موضع السارية حسب الشاعر هو مكان لم يصله الركبان، وبناء القصور والبيوت وأعمدتها وأسوارها لا يمكن أن يكون في أرض لم تطأها قدم إنسان إذا إنَّه هو من يرفعها ويشيدها. مما يقلص الفرضيات إلى ثلاث هي (السحاب الذي يظهر ليلاً، والمطرة تكون ليلاً، وجماعة من الناس يسيرون ليلاً). فتكون الكفاية الاستدلالية هي التي تصل بنا الى مقصدية المتكلم من خلال تحديد فرضية واحدة تليها.

نحاول من خلال الاستدلال ترجيح إحدى الفرضيات فنقف عند البيت الرابع وبخاصة عند العبارة (لم يرد الله وافدها على أهلها) التي تنفي فرضية (السحب والمطرة) فالضمير (الهاء) يعود على السارية لترجح أنَّها جماعة من الناس يسيرون ليلاً فليس للسحب أو المطر أهل. إلى هذه النقطة ونحن لم نصل بعد إلى قصد الشاعر وإنَّما استطعنا ازالة البس والغموض فقط في لفظة (السارية) بالفرضية التي توصلنا إليها لا تلائم السياق اللغوي للبيت الأول ولا الثاني فكيف لسارية ألا تسير في الأرض ولا تقطع البيداء؟ كما ان كفايتنا الموسوعية لا تتقبل فكرة أن تسير سارية في مكان لم يقطعه الركبان بدون أن تنخ لورد الماء، وان يكون دربها سالك فلا يقيدها عن المسير مانع، فذلك لا يكون مع ارض مجهولة. كما نلاحظ كذلك أن فرضيتنا لا تلائم قرع أبواب السماء فأنى لسارية أو أحد من أفرادها أن يقرع أبواب السماء، ولكن هذه الكفاية نفسها تساعدنا لندرك أن قرع أبواب السماء، قد يكون ممكناً مجازاً وذلك من خلال الدعاء لقول رسولنا الكريم ﷺ: " ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْعَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ " (١) وبهذا نستطيع القول أن الشاعر استعار السارية للدعاء فهي لا تُرد، كما تفتح لها أبواب السماوات. ومما يلاحظ من خلال الكفاية اللغوية استعمال الشاعر في البيت الخامس لفظة (تفتح) مقابل (قرع) ، فالتضعيف يدل على

(١) الجامع الكبير، للأمام الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، حققه واخرج احاديثه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م، رقم الحديث:(٢٥٢٦): ٤/٢٩٣.

المبالغة واستعماله مقصود لهذه الصيغة فهو يرى أن أبواب السماوات تفتح على مصراعها وكأن القارئ يشاهد سرعة وسعة انفتاح أبواب السماوات، وفي المقابل نرى أنه استعمل (قرع) من غير تضعيف، وفي المقام نفسه قال (أبواب السماوات) فذكر جمعين وقابلها بمفرد وهو قارع، هذه المقابلتان لها دلالتها فهو استعمل التضعيف والجمع أمام المخفف والمنفرد، ليكشف عن قيمة ودرجة هذه السارية عند الله فما يقرع واحد منهم أبواب السموات حتى تفتح أبواب السماوات جميعها لهم. كما أن ورود الظروف كان له أثره ودلالته، وهي تعميق معنى الليل في المقطوعة، فلنا في الليل من سكون وتنزل للذات العلية آخر الليل بما يحقق ويقرب إجابة الدعوات الذي برزه وقدمه الشاعر في المقطوعة، فيظهر لنا تآزر أجزاء المقطوعة وتلاحم دلالتها لتؤدي المعنى العام والمراد منها مع لطيف التوظيف، ودقة الاستعمال لكل مستوى من مستويات اللغة.

كما لاحظنا فهذه الكفايات أهمية كبيرة في تأويل الخطاب المنطوق أو المدون إلا أن ذلك لا يعني أنها كافية لوحدها في الوصول إلى التأويل الصحيح بل إن هذه الكفايات هي بدورها قد تحتاج إلى كفايات يمكننا تسميتها كفايات (تابعة أو مساعدة) فنجد أن الكفاية التداولية تتطلب كفاية أخرى هي (الكفاية الإدراكية) "فبفضل [...] عمليات الإدراك، يمتلك الإنسان المعرفة وينشدها ويشيدها" (١) إذ إن غاية الإدراك هو تحسين معلومات الفرد عن عالمه الخارجي أي إضافة المزيد من المعلومات، والتي تكون أكثر دقة، وأكثر تطوراً، وأسهل استرجاعاً واستذكاًراً. فالكفاية الإدراكية تسعى في تحسين معلومات الفرد عن العالم بالقدر الممكن ضمن الموارد المتاحة. والموارد المتاحة للفرد لكي يعالج المعلومات في ضوءها هي في الغالب الأعم ليست مرنة جداً. (٢)

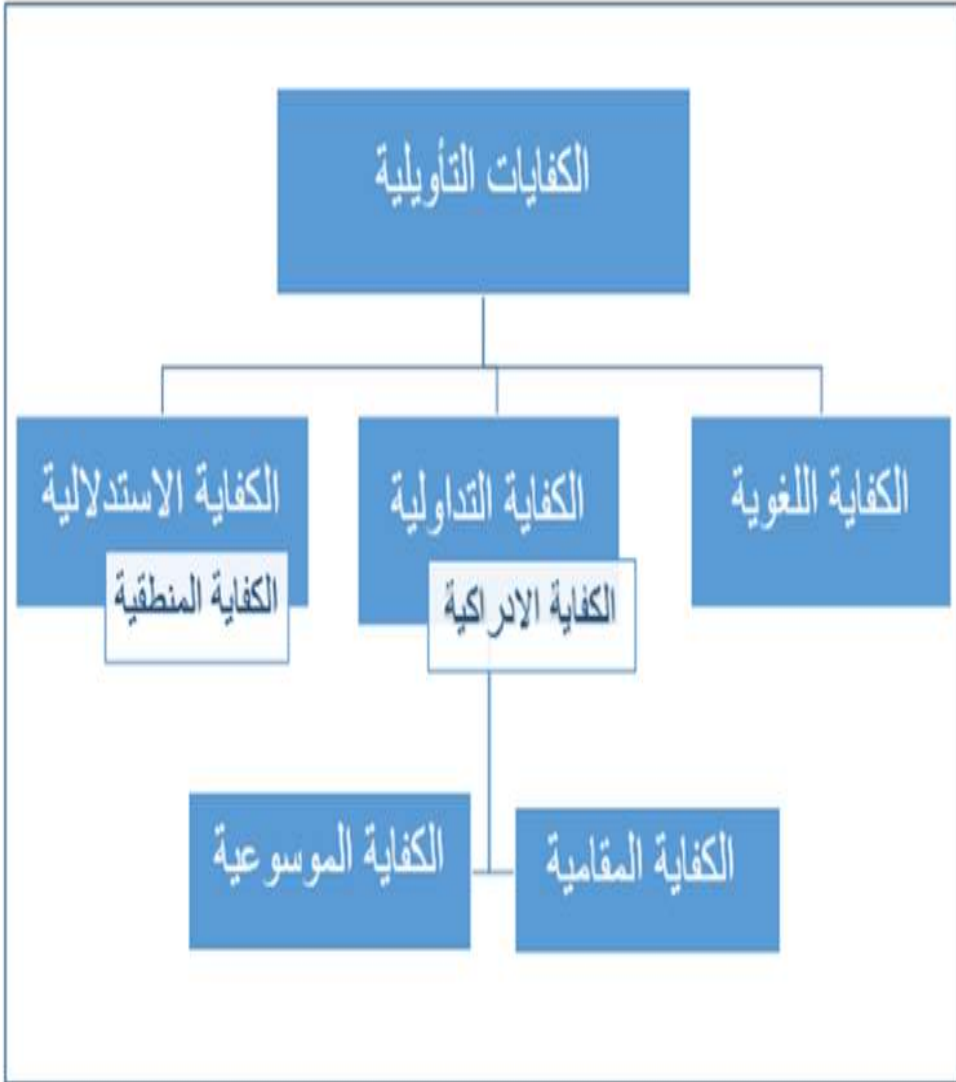
في حين أن الكفاية الاستدلالية تتطلب الكفاية المنطقية وتتداخل معها؛ إذ المنطق "أكثر العلوم ارتباطاً بالاستدلال" (٣) باعتبار المنطق "علم يبحث في قوانين الانتقال

(١) عندما نتواصل نغير: ٢٧.

(٢) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة: ٩٥.

(٣) رسالة ماجستير: الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، حذيفة كلاتمة، إشراف: عمار شلواوي، جامعة محمد خيضر-بسكرة، ٢٠١٠-٢٠١١م: ١٢.

من اقوال مسلم بها إلى أقوال مطلوبة" (١). الخطاطة الآتية تبين الكفايات التأويلية:



وهكذا فإنّ التأويل يشترط توفر وتضافر مختلف الكفايات؛ لكي يتم الوصول إلى مقصد المتكلم

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٨٧.

الخلاصة:

يمكننا عدُّ الشعر خطابًا موجهًا من شاعر وهو المرسل إلى قارئ وهو المرسل إليه. فالشعر هو الأداة التواصلية التي تربط بين الشاعر ومتلقيه انطلاقًا من أدوات لغوية وغير لغوية استعان بها الشاعر لتوثيق تلك الأصرّة، وهذا ما كشفت عنه الآليات والمفاهيم التي قامت التداولية المعرفية ببلورتها وإخراجها في حلة جعلتها تتميز وتنفرد عن كل باقي النظريات.

إنَّ الكفايات التأويلية الأساسية تحتاج بدورها إلى كفايات (تابعة أو مساعدة) فنجد أنَّ الكفاية التداولية تتطلب الكفاية الإدراكية في حين أن الكفاية الاستدلالية تتطلب الكفاية المنطقية.

اللغة الشعرية لغة إيحائية فهي تعتمد على كفايات المتلقي أو القارئ في الكشف عن قصد الشاعر في الخطاب الشعري لذا لم يتم الوصول إلى قصد الباهلي في كثير من الأحيان إلا من خلال الكفايات التأويلية بسبب لجوءه للتعريض والاستعارات والكنيات والاقتراسات.

Interpretation in the light of Cognitive Pragmatics
Selected Samples from the Poetry of Muhammad bin Hazem
Al-Bahily

Ola Hani Sabry *

Abdullah Khalif Khudair *

Abstract

This research seeks to read the poetry of Muhammad bin Hazem Al-Bahily in the light of the concepts of cognitive pragmatics, and since the research adheres to a number of papers, we are satisfied with the concept of (interpretation) within cognitive pragmatics, and with the importance of this concept, but we will try to present all the competencies related to it within the concept of Interpretation and this concept is more closely related to the recipient and it is his responsibility to dig into the entity of the discourse, and probe its depths; In order to elicit its uniqueness and reveal its hidden meanings, he would arrive at the intention of the speaker as he wanted it, as he - the recipient - “has to complete the speaker’s inferences.

Key words: Pragmatics, cognitive pragmatics, Al-Bahly poetry.

* Master Student/Department of Arabic Language/College of Arts/Mosul University.

* Asst.Prof/Department of Arabic Language/College of Arts/Mosul University.